التنافر بين المعلم والمتعلم مما لا يرجى معه نجاح ولا فلاح لان المتعلم متى انقبضت نفسه عن معلمه انقبضت نفسه عن كل شيء يلقيه اليه ذلك المعلم أو يسمعه منه *

الباب الثالث في الآداب المنزلية

﴿ وفيه مطالب ﴾

(١) ﴿ الأدب مع الوالدين ﴾

هو أن يسمع كلامهما ويقوم لقيامهما ويمتثل أمرهما ولا يمشي أمامهما ولا يرفع صوته فوق أصواتهما ويلبي دعوتهما ويحرص على مرضاتهما ويخفض لهما الجناح ويحسن اليهما جهده ويبرهما ويكرمهما في حالتي عسره ويسره ويتوخى مسرتهما وترويح قلوبهما ولا يمن عليهما بالبر لهما ولا بالقيام بأمرهما ولا ينظر اليهما شزراً ولا يقطب وجهه في وجوههما ولا يسافر الا باذنهما *

(٢) ﴿ الأدب مع الاخوة من النسب ﴾

يلزم الفتى أن يتأدب معهم ويحترمهم ويعرف أنهم أقرب الناس اليه بعد الابوين ويحب لهم النفع والشرف اكثر من جميع الناس * فأما أخوه الاكبر فانه يجعله في منزلة أبيه فلا يرفع صوته عليه ولا ينازعه ولا يخالفه فى وصاياه الجميلة ليكسب حبه ويسعى فى منافعه * وأما الذين هم أصغر منه فيواسيهم ويشفق عليهم ولا يضربهم ولا يشتمهم ويلاطفهم

ويستجلب محبتهم بحسن الاخلاق ولطف المعاملة * واذا رأى منهم مالا يليق فعليه أن ينهاهم باللطف والمعروف ويعرفهم ضرره ولا يسعى بهم عند أبيه بالفتنة فتكثر الكراهة بينهم ويألفون الشر ويعتادونه بسببه فيعود الوبال عليهم وجلي أن إخوة المرء هم أعوانه على سعادته وحسن حاله *

(٣) ﴿ أدب الخدمة ومعاملتهم ﴾

يجب فى الخادم أن يكون صالحاً عفيفاً أميناً نشيطاً ذكياً فهو يقوم بحق الله بأداء ما أوجبه وحق من يخدمه فيعف عن حرمه ويغض من طرفه ويحفظ ما ائتمن عليه من مال وغيره ويخف للقيام بما يطلب منه بنشاط واعتناء ويفطن لما ينبغى أن يراد منه فيدرى حسنه من قبحه وغثه من نصحه فيكون رجل حياة وانسان معيشة *

وعلى سيد الخادم أن يرشده لمواقع الصواب وأصول واجباته وما ينبغي أن يتصف به * ولا يكلفه ما لا يطيق ولا يشق عليه وأن يربيه باللطف والعقل ولا يهينه ببذىء الكلام وجافي اللفظ مما يجرح قلبه ويذل نفسه إذ ليس للسيد أن يتسلط على خادمه بذلك لا شرعاً ولا عرفا

ويجب على السيد ان يسمح للخادم بساعة في النهار يتروح فيها ويتمتع بشؤونه وأن يجرى عليه مرتباً يكفيه ليكفه عن التشوف لما قد يسرقه ويختلسه فان ما ينقصه السيد من مرتبه ربما اختلس من ماله وأن يزيد في راتبه كلما رآه يزيد فى صدق الخدمة وحسن المعاملة ولا

ينبغي للسيد ان يسرع فى تبديل الخادم بمجرد هفوة أو حصول صغيرة وليتذكر أن لا معصوم الا المعصوم فان في تبديله مضاراً عظيمة واتعابا جسيمة * نعم اذا علم ان فيه خلة فاسدة أو ملكة رديئة أو إصراراً على فحشاء فانه يطرده عن بابه ويباعده من رحابه *

وعلى الابناء ان يحتفظوا بخادم أبيهم أو جدهم وان يحترموه لتقادم خدمته لهم وتربيته لهم صغاراً وان يرعوا حقه وحق آله وأولاده اعترافا بالجميل * ومن الحمق وقلة العقل طرد الخادم الذي تقادم عهده واطلع على دخائل سيده وأسرار حرمه بلا باعث كبير أو ابعاد خادم أبيه وقد عرف شدة اتصاله به فان هذا من لؤم الطبع وكفران العشرة وقلة المروءة

وبالجملة فكل من أراد ان يهنأ باله مع خادمه فليحسن معاملته ولينزله منزلة أحد عائلته وليبره فوق ما يأمل ولا ينل منه بما يجرح قلبه وليرفق به في سره وعلنه وليغض عما يجوز الغض عنه وليرحم تعبه ولا يؤرقه لحاجته اذا أخذ مضجعه بل يشفق على راحته *

ويحكى عن بعض خيار الامراء انه كان يحمل فرش ضيوفه على رأسه ليلا الى محال نومهم ولا يوقظ خادمه لحملها شفقة منه ورحمة والراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى *

(٤) ﴿ الادب في الزواج والسن المرعيّ فيه [١] ﴾

الزواج قانون حيوي عام لجميع السلسلة الحيوانية وهو ضروري

(١) من كتاب صحة المرأة

لحفظ النوع الانسانى وتقدمه ولم يجتمع في شيء ما اجتمع في الزواج من دواعى الشرع والعقل والطبع * فأما دواعى الشرع فقـــد نص عليه الكتاب والسنة والاجماع * وأما العقل فان كل عاقل يحب أن يبقى اسمه ويخلد ذكره ولايتأتى ذلك الا بالذرية * وأما الطبع فانه يدعو الى تحقيق ما أعد له من المباضعة *

واذا كان الزواج ضرورياً لحفظ النوع الانسانى وبقائه ، فلايخلو كذلك من فوائد عظيمة للشخص المفرد ، وذلك انه يبعده عن ارتكاب الجرائم والتلوث بأدران الدنايا والخسائس ، والمرأة أحوج من الرجـل لانه صون لها ، وأعون على صحتها في الحال والاستقبال ، ولاخوف عليها من أخطار الامومة مادامت الفوائد الصحية متبعة كل الاتباع

ولما كان أهم أغراض الزواج هو التناسل للحصول على الذرية لبقاء النوع الانسانى وتقدمه ، فمن البديهى أن يبتدأ الزواج من السن الذى يشعر فيه الانسان بالحاجة التناسلية ، وأن يكون سن الزواج للمرأة ليس أقل من (١٤) سنة ، ولكن لايجب تأخيره عن ذلك كثيراً *

وان تقدم الزواج عن ذلك كان عديم الفائدة ومضراً أحياناً للمرأة ولاولادها لجملة أمور : (منها) ان الاعضاء التناسلية لم تكن قد بلغت حدها النهائي في النمو . (ومنها) ان البنات المتزوجات صغيرات السن عن الحد الذى قررناه يكون زواجهن في الغالب أقل اخصاباً — أي أقل نسلا — وأولادهن تكون حياتهم قليلة من غيرهم . (ومنها) ان

المبكرات في الزواج لايتوفر فيهن الشروط الجسمية والعقليـــة اللازمة للزوج والامومة ، وكلما تأخر زواجهن اكتسبن تجارب تؤهلهن للزواج (ومنها) ان النساء المتزوجات وهن صغيرات نسبة الوفيات فيهن أكثر منها في المتزوجات في السن المعتدل . (ومنهـا) ان صغر الام في العمر ينشأ عنـه ضعف في الطفل ، وخصوصاً في الولد البكرى . واذا تأخر الزواج الى مابعد الخامسة والعشرين أو الثلاثين يكون الحمل والولادة في الغالب أكثر تعباً على المرأة ، لان الاعضاء تكون قد انتهت من النمو وثبتت في أوضاعها ، وصار أى تغير في أوضاعها متعذراً ولايخلو من خطر ، والولادة عندهن غالباً تكون عسرة *

وعلى العموم فان الشيوخية والتقدم في السن كلاهما يضعف التغذية فى النسل ، وأولادهم يغلب فيهم الضعف ونقص القوة الحيوية . ومن الضرورى جداً أن يكون الزوج أكبر من الزوجة لجملة اعتبارات : (منها) أن الرجل ينمو ببطء عن المرأة . (ومنها) ان المرأة تنتهى حياتها التناسلية سن اليأس قبل الرجل بكثير . (ومنها) ان الرجل لايكون له السلطة التامة عليها اذا كان أصغر منها . (ومنها) ان الرجل اذا كان في سن العشرين مثلا يكون قدأسس له مركزاً معاشياً يسمح له بالزواج ، والمرأة بعد اليأس لاتتزوج أصلا لان الغرض من الزواج وهو التناسل مفقود منها .

(٥) ﴿أدب المرأة الايم والمتزوجة﴾

عليها أن تلازم بيتها ، وأن لا تكثر من طلوعها ، وأن لا ترتدي الا بماله لون واحد ، وتجتنب المزركش الكثير الالوان . وتجتنب شد وسطها ، وما يحاكي حجم بدنها ، وتجتهد في تغطية وجهها بالحجاب ، ولا تستعمل الشفاف (١) وان تحرص على الشغل والعمل ، ومايعين على دفع الفاقة والملل ، وأن تحفظ بعلها في غيبته وحضرته وتطلب مسرته في جميع أمورها ، ولا تخونه في نفسها وماله ، ولا تخرج من البيت الا باذنه بهيئة لاتستلفت أبصار الناس اليها ، ولا يشم منها رائحة عطرية ولا تتعرف الى صديق بعلها في حاجاتها : بل تتنكر على من يظن انه يعرفها او تعرفه . وأن يكون همها صلاح شأنها وتدبير بيتها . مقبلة على مهماتها وعباداتها . وأن لا تكثر الكلام مع اجنبي من وراء حجاب وأن تقصر لسانها عن مراجعة الزوج وأهله . واذا مات زوجها فلا يجوز لها ان تحد عليه (٢) أكثر من اربعة أشهر وعشر . وتجتنب الطيب والزينة فيهن والتعرض للزواج *

(١) لا يزال عقلاء الامم التي تبيح رفع الحجاب ، تئن من كشف النقاب ، اذ دلتها المثلات أن ذلك مجلبة لما لايحصى من المخزيات والمنكرات وقد أرشدتها الحوادث المتكررة بقوارع تتفتت منها الاكباد ، وتذوب الاحساسات حسرات * قص بليغ حادثة مؤثرة منها ثم قال في أثرها : فيا ايتها الغادة المستترة بحجاب الادب ، حيي الجدران التي تحرسك وقبلي القناع الذي يحفظ وجهك ، من ألحاظ الغدر ، وسحر النواظر القاتلة سلام على تلك القيود التي تربط شهامتك ، سلام على ذلك الحجاب الذي يرفع جمالك الى أوج الواجب . وياليت تلك القيود وذلك الحجاب يمحان الارض باسرها اذ يعرف الناس ماهية الشعائر ومحور مدار الكائنات (٢) أحدث المرأة امتنعت عن الزينة

(٦) ﴿أدب معاشرة الزوجة﴾

يلزم حسن الخلق معها ، واحتمال الاذى منها ، وكف الضرر عنها والحلم عند طيشها وغضبها ، والمداعبة تطييباً لقلبها ، وأن لاينبسط في الموافقة باتباع هواها الى حد يفسد خلقها ، وتسقط هيبته عندها ، فلا يدع الانقباض مارأى منكراً ، ولا يفتح باب المساعدة مارأى محظوراً وان يعتدل في الغيرة فلا يتغافل عما تخشى عواقبه ، ولا يبالغ فى اساءة الظن والتعنت وتجسس البواطن . وأن يعتدل في النفقة فلا يسرف ولا يقتر ولا يتبعه منة ولا أذى ، وأن يامرها بالتصدق ببقايا الطعام وما يفسد لو ترك ، ولا يستأثر عنها بمأكول طيب فانه شح موغر للصدور ولا يخبرها بقدر ماله ، ولا يستكتمها سراً يخاف اذاعته . وأن يتعلم من علم المحيض واحكامه ما يحترز به الاحتراز الواجب . وان يعلمها من العبادات والآداب مالا تستغني عن معرفته . وان لايكلفها من خدمته فوق طاقتها . ومن عنده أكثر من زوجة واحدة فعليه العدل بالسوية ومجانبة الميل الى بعضهن واذا أراد سفراً اقرع بينهن . وليحذر الفقير من الجمع بين زوجات وهو لايستطيع الانفاق عليهن (١) إذ لايزال

والخضاب بعد وفاة زوجها فهى محد وكذا حدت تحد بضم الحاء وكسرها حداداً بالكسر فهى حاد ولم يعرف الا صمعي الا الرباعى أي أحدت اه مختار

(١) ماأحسن ماجاء في الاقناع وشرحه من كتب الحنابلة — من قوله ويستحب ان لايزيد على واحدة ان حصل بها الاعفاف لما فيه التعريض المحرم ، قال تعالى : « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » اه جزء (٣) ص (٤)

معهن في نزاع على النفقـــات وسائر حقوق الزوجية . وقد لا يطلقهن ولا واحدة منهن ، ولا يزال الفساد يتغلغل فيهن وفي أولادهن ولا يمكن له ولا لهن أن يقيموا حدود الله . وضرر ذلك بالدين والامة غير خاف على أحد *

(٧) ﴿ أدب الفتاة ﴾

يلزم وليها أن يعلمها الكتاب العزيز بحسن أداء ثم ما يصحح عقيدتها وعباداتها من أصول العقائد والفقه . ثم ما وجب عليها لوالديها وأولادها وبعلها ، وما أبيح لها وما حظر عليها ، وما تضطر اليـه من ادارة نفسها وبيتها وبنيها كالخياطة وترتيب المنزل ، وادارة صحة بنيها وآدابهم ، وصلاح المأكل والملبس ، وأصول الاقتصاد ومكارم الاخلاق وما أشبه ذلك مما يجعلها قرة عين الكمال . ولقد صدق القائل : ان الفتاة المتعلمة المهذبة فخر لاهلها . وعون لبعلها . وكمال لبنيها . أهلها بها يفتخرون . وأولادها بها يسعدون * ومن ذا الذى لا يسر فؤاده بابنته الاديبة التى تدبر الامور المعاشية بالمعرفة . وتدير الحركة المنزلية بالحكمة . ويجد في مجالستها أنيسا عاقلا . وسميراً كاملا *

وعلى وليها أن يزوجها من الاكفاء الاخيار ذوى الدين والمروءة الذين يتوسم فيهم اسعاد زوجاتهم . وما ألطف قول الخوارزمى : حق كافل الكريمة أن لا يزوجها حتى يستكرم صهراً . أو يحكم مهراً *

(٨) ﴿ أدب الاطفال ﴾

أجمع الباحثون في أحوال العمران . ونواميس المدنية . على أن التربية والتعليم هما الوسيلة الوحيدة . والواسطة العظمى في ارتقاء الامم على منصات الحضارة ، وبلوغها ماتطمح اليه من الآمال الكبار . لذلك كان من أهم واجبات الامة التي تجعل بلوغ مثل هذه الامنية نصب عينيها. أن تكل أمر تربية أبنائها وتعليمهم الى رجال الدين الذين يطبعون في فطرة الناشيء أصول الفضائل وآداب الشريعة . ويلقنونه دروس الحياة ويرقون عواطفه ويربون شعوره . فاذا فارقت الآباء هذا المبدأ فوسدت الامر الى غير أهله ، وأسندت وظائف التعليم الى غير أكفائه من أعداء دينها . فلاتلبث أن يلم بمزاج مجموعها مايضعفه وينمى جراثيم الداء فيه فتظهر أعراضه عليه فتصبح في حضيض خسران الدنيا والآخرة * فالتربية الدينية هى أس الفضائل وروح الاجتماع الحيوى

(٩) ﴿ الاهتمام بتربية الطفل المنزلية ﴾

اذا لحظ المرء ماينجم من التربية المنزلية يجد انه كما يكون الاهل يكون الطفل في الغالب . فان كانوا ذوي نظام وطباع كريمة شب الطفل كذلك لما علم من انه ميال للتقليد والمحاكاة . وان كانوا جهلاء أغبياء وذوى خمول أو ضعف فى العزيمة شب الطفل على ذلك . فمن هذا يعلم

ان تربية البيت اما أن تكون عضداً وساعداً المعلم فى المدارس، واما أن تكون عقبة كؤوداً في سير التربية المدرسية *

(١٠) ﴿ تدارك من يراد تربيته قبل تأثير الوراثة فيه ﴾

تقرر في سنة البشر ان الفروع كما ترث من أصولها جانباً من الصفات الجسمانية كذلك ترث منها كثيراً من الطبائع الخلقيـة . فلقد تجد أولاد الرجل الابله كأبيهم . وأبناء العاقل الداهية كذلك . ولا حاجة الى ايراد البراهين على ذلك . لانه يكفى في اثباته أدنى التفات الى دراسة أصول العالم الذى نحن بين ظهرانيه . نعم قد لا يطرد ذلك كلياً ، — لان لكل قاعدة شذوذاً الا أن القصـد التنبيه على أنه وان كان فى الحدث طباع موروثة إلا أن المربى الحكيم يمكنه أن يهذب منها ما فسد . ويقوم ما اعوج وان احتاج الى عناء زائد وجهـد كبير على شريطة أن يتدارك ذلك قبل أن تتمكن تلك الوراثة الفاسدة وتصير ملكة . ولذا قلما تفيد التربيه في الكبير *

(١١) ﴿ العناية بتأديب الصغير ﴾

قالت الحكماء : ينبغي أن يؤخذ الولد بالادب من صغره . فان الصغير أسلس قياداً وأسرع مؤاتاة . ولم تغلب عليـه عادة تمنعه من اتباع ما يراد منه . ولا له عزيمة تصرفه عما يؤمر به . فهو اذا اعتاد الشيء ونشأ عليه خيراً كان أو شراً — لم يكد ينتقل عنـه فان عود من صباه

المذاهب الجميلة والافعال المحمودة بقى عليها ويزيد فيها اذا فهمها وان أهمل حتى يعتاد بما تميل اليه طبيعته مما أغل عليها أو عود أشياء رديئة مما ليس في طبيعته ، ثم أخذ بالادب بعد غلبة تلك الامور عليه عسر انتقاله مع الذى يؤذيه . ولم يكد يفارق ما جرى عليه . فان اكثر الناس انما يؤتون في سوء مذاهبهم من عادات الصبا *

(١٢) ﴿ آداب عامة للصغير ﴾

قال الحكيم المستعصمي : (١) يجتنب النوم الكثير فانه يقبحه ويغلظ ذهنه ويميت خاطره . (٢) يمنع من الفراش الوطيء وجميع أنواع الترفه حتى يصلب بدنه بتعود الخشونة . (٣)يمنع من اعتياد الامكنة الباردة صيفا ومن النيران شتاء . (٤) لا يسرع المشى . (٥) لايتثاءب بحضرة غيره . (٦) لا يضع رجلا على رجل . (٧) لا يضرب تحت ذقنه بساعده ولا يعتمد رأسه بيده فانه دليل الكسل . وانه قد بلغ به التقبيح الى أن لايحمل رأسه حتى يستعين بيده . (٨) يعود ان لايكذب ولا يحلف لا صادقا ولا كاذبا . (٩) يعود الصمت وقلة الكلام وأن لا يتكلم إلا جوابا : واذا حضر من هو أكبر منه اشتغل بالاستماع منه والصمت له . (١٠) يمنع من خبيث الكلام وهجينه ومن السب واللعن ولغو الكلام . (١١) يعود حسن الكلام وظريفه وجميل اللقاء وكريمه. (١٢) يعود خدمة نفسه ومعلمه ومن هو اكبر منه . (١٣) يعود طاعة والديه ومعلميه ومؤدبيه وأن ينظر اليهم بعين الجلالة والتعظيم ويهابهم

(١٤) يعود ضبط النفس عما تدعو اليه من اللذات القبيحة والفكر فيها

(١٣) ﴿ غرس الحب ورفع الاحقاد والاعتماد على النفس وتعلم اللغات ﴾

قال حكيم : إني لاكثر التعجب ممن يعلم أولاده ذكر الحروب والضغائن ومن انتقم ووثب على صاحبه ولا يخطر ببالهم أمر المودة وأحاديث الالفة وما يحصل من الخيرات العامة لجميع الناس بالمحبة والانس وانه لا يستطيع أحد من الناس ان يعيش بغير المودة وان مالت اليه الدنيا بجميع رغائبها *

وقال بعضهم : خليق بالآباء وان كانوا في غنى أو جاه أن يربوا أولادهم على مبدأ الاعتماد على النفس والاستقلال بأن يستعد في حياة والديه للعمل لان الحياة لا تقوم الا بالحركة والسعي والعمل والتدبير وحسن السلوك لاصابة العلم والرزق والراحة والجاه . والسعي لحفظ ثروة يحتاط بها من الفقر من أهم ما يصل بها الى مطالب الحياة بهناء فان المستقبل صفوة الحياة . ومتى نما فيهم هذا المبدأ المذكور رفضوا المعيشة الاتكالية على الآباء التي هي اليفة الخمول والصغار . وأصبحوا يجدون في المساعي التي توسدهم على فراش الهناء وما اللذة الا بعد التعب *

وعلى الآباء أيضا أن يعلموهم من اللغات ما استطاعوا اليه سبيلا فانه يقال : (كل لسان انسان) و (من عرف لغتين فهو بمنزلة شخصين) ولاسيما في هذا العصر الذي اتسع فيه مجال المعاملة والعمل . وكثر اختلاط الناس من أمم مختلفة *